

نعمة وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح. ومرحبا بكم إخوتي في عظتنا اليوم وهي في إنجيل لوقا والإصحاح السابع، الآيات 36 الى 50. اليكم القراءة باسم يسوع المسيح:

وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِيسِيِّ وَاتَّكَأَ. وَإِذَا امْرَأَةً فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُنْكِيٌّ فِي بَيْتِ الْفَرِيسِيِّ جَاءَتْ بِقَارُورَةٍ طِيبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِئَةً وَابْتَدَأَتْ تَبُّلُ قَدَمَيْهِ بِالذُّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتَقْبِلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ؟ إِنَّهَا خَاطِئَةٌ. فَقَالَ يَسُوعُ: يَا سَمْعَانَ عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ. فَقَالَ: قُلْ يَا مُعَلِّمَ. كَانَ لِمُدَايِنِ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الْآخَرَ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ فَأَجَابَ سَمْعَانُ: أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالْأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ. ثُمَّ انْتَقَتِ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسَمْعَانَ: أَنْتَظِرْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ وَمَاءً لِأَجْلِ رِجْلَيْ لَمْ تُعْطَ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيْ بِالذُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. فُقْبَلَةٌ لَمْ تُقْبَلْنِي وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكْفَ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيْ. بَرِيئٌ لَمْ تَدْهِنْ رَأْسِي وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيْ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لِأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلًا. ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لِكَ خَطَايَاكَ. فَاِبْتَدَأَ الْمُتَكَبِّرُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيضًا؟ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ، اذْهَبِي بِسَلَامٍ.

هذه كلمة الله

وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ. والفريسيون دينيون يغسلون طوال الوقت معتبرين أن هذا تطهير. ويسوع ما رفض دعوة هذا الفريسي ولا رفض أبدا أي شخص طلبه ولا رده فارغا. وهذه المرأة كانت واحدة منهم. سمعت أنه في بيت الفريسي فجاءت دون أن تبالي لما يقوله الرجال فيها ولا حتى اليهودي المتدين صاحب البيت حيث كان ليسوع. لما الشخص يحب ينظم حياته ويرجع الى الله ما يهمه أقوال الناس ولا يتوقف عند انتقادهم وحكمهم فيه. وهذه المرأة كانت معروفة في المدينة ولا أحد كان يرضى يظهر معها في الشارع. الناس يعتبروا نفوسهم شرفاء أتقياء، وأما المرأة فنجسة.

ليس المتكلمون عن التقوى والأخلاق ويكررون الوضوء هم طاهرون. وإن اغتسل الانسان بالنظرون وأكثر من استعمال الصابون، فإن لطفة إثمه تظل ماثلة أمام الله. والمرأة لما سمعت أن يسوع في بيت الفريسي

جَاءَتْ دُونَ أَنْ يَدْعُوَهَا أَحَدٌ. الرُّوحُ الَّذِي فِيهَا دَفَعَهَا تَتَقَدَّمُ إِلَى يَسُوعَ حَامِلَةً عَارَهَا وَخَجَلَهَا وَحَزَنَهَا بِالذَّمُوعِ. جَاءَتْ وَهِيَ لَا تَجْرُؤُ أَنْ تَرْفَعَ عَيْنَيْهَا نَحْوَ يَسُوعَ. وَوَقَّتْ وَرَاءَهُ تَفْرَغُ حَزَنَهَا. وَالخَطِيئَةُ تَحْطُمُ الْإِنْسَانَ وَتَنْزِعُ مِنْهُ شَرَفَهُ وَتَجْعَلُهُ يَشْعُرُ وَكَأَنَّهُ لَا شَيْءَ. وَمَنْ يَقْدِرُ يَحْرِرُنَا مِنَ الْخَطِيئَةِ وَقَوَّتِهَا وَتَهْمَةُ وَنَتَائِجِهَا الْمُؤَلِّمَةُ؟ لَا شَيْءٌ وَلَا أَحَدٌ إِلَّا يَسُوعُ الْمَسِيحُ. جَاءَنَا الرَّبُّ مِنَ اللَّهِ بِالنِّعْمَةِ لِيَنْتِجَ فِيْنَا التَّوْبَةَ وَيَنْقِلَنَا مِنْ حَيَاةٍ فَاسِدَةٍ لِحَيَاةٍ مُقَدَّسَةٍ كَرِيمَةٍ. اللَّهُ يَعْطِي لِكُلِّ إِنْسَانٍ الْفُرْصَةَ لِلتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانَ بِالْمَسِيحِ.

فِي مَحْضَرِ يَسُوعَ، الْإِنْسَانُ هُوَ أَمَامَ إِخْتِيَارٍ: إِمَّا أَنْ يَتُوبَ بِذَمُوعٍ وَحَزْنٍ طَالِبًا الْمَغْفِرَةَ وَعَوْنَهُ، إِمَّا أَنْ يَبْظُلَ قَاسِيًا فِي كِبْرِيَائِهِ الدِّينِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ وَمَا يَشْبَهُ ذَلِكَ. التَّائِبُ الْحَقِيقِيُّ يَأْتِي بِالذَّمُوعِ وَالْفِشْلِ. الْمَلِكُ دَاوُدَ عَبَّرَ عَلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي مَزْمُورِهِ 51 وَالآيَاتِ الْأُولَى إِلَى الرَّابِعَةِ يَقُولُ: اِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ أَمْحُ مَعَاصِيِي. اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي. لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيِي وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِمًا. إِلَيْكَ وَحَدِّكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ لِكَيْ تَنْبَرَّرَ فِي أَقْوَالِكَ وَتَرْكُؤَ فِي قَضَائِكَ.

وَالرَّأَةُ عَاشَتْ فِي الْخِزْيِ حَتَّى جَاءَتْ إِلَى يَسُوعَ. هُوَ فِي بَيْتِ الْفَرِيسِيِّ سَمْعَانَ، بَابِ الدَّارِ مَفْتُوحٍ. دَخَلَتْ وَمَشَتْ مُبَاشِرَةً إِلَى يَسُوعَ. هُوَ الْوَحِيدُ مُسْتَحَقٌّ أَنْ تَسْكُبَ نَفْسَهَا أَمَامَهُ. وَكَيْفَ يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ يَحْرِرُ نَفْسَهُ مِنْ سَيْطَرَةِ الْخَطِيئَةِ وَلِعَنْتِهَا وَهِيَ مَنْقُوشَةٌ فِي قَلْبِهِ؟ مَازَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ فِدِيَّةً عَنْ نَفْسِهِ؟ الْعَمَلُ الْوَحِيدُ الْمَقْبُولُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ إِعْتِرَافُنَا بِخَطَايَانَا وَإِهَانَتِنَا لَهُ لِأَنَّنا، فِي الْحَقِيقَةِ، كَلْنَا أَخْطَأْنَا وَأَعْوَزْنَا مَجْدَ اللَّهِ. لَكِنِ الْمَجْدُ لِلرَّبِّ لِأَنَّهُ هُوَ بَرَّرْنَا مَجَانًا، بِنِعْمَتِهِ، بِالْفِدَاءِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ نَسْمَعَ لِيَسُوعَ وَجَدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي حَمَلَ خَطَايَانَا عَلَيْهِ لَمَّا مَاتَ عَلَى الصَّلِيبِ.

الرَّبُّ هُوَ الَّذِي يُقِيمُ الْمَسْكِينِ مِنَ التُّرَابِ وَيَرْفَعُ الْبَائِسَ مِنَ الْمَرْبَلَةِ. هُوَ مَحَامِينَا وَمَاحِي ذُنُوبِنَا وَحَامِينَا أَمَامَ السُّلْطَاتِ الدِّينِيَّةِ. الدِّينِيُّونَ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ وَالسَّلَامِ وَلَكِنِ قَلْبُهُمْ مَلِيَانٌ بِغَضَاءٍ. الرَّبُّ يَرَى كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الْأَفْكَارِ هُوَ فَاحِصَ الْكُلِّيِّ وَالْقَلْبِ. فَمَا مِنْ مَسْتُوْرٍ لَنْ يُكْشَفَ وَلَا مِنْ سِرٍّ لَنْ يُعْرَفَ. جَاءَتْ الْمَرْأَةُ إِلَى يَسُوعَ وَقَدِمَتْ لَهُ حَيَاتِهَا كُلَّهَا كَمَا كَانَتْ بِخَجَلِهَا وَعَارَهَا. يَسُوعُ مُوجُودٌ. الْفُرْصَةُ أُتِيحَتْ لَهَا فَمَا تَرَكَتْهَا تَقْوَتْ. وَهَكَذَا يَدْعُونَا الرَّبُّ بِالنَّبِيِّ إِشْعِيَاءَ: اظْلُبُوا الرَّبَّ مَاذَا مَوْجُودًا، اذْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ. لِيَتْرَكَ الشَّرِيرُ طَرِيقَهُ وَالْأَثِيمُ أَفْكَارَهُ وَلِيَتَّبِعْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَلِيَرْجِعْ إِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ. يَسُوعُ يَبْشِرُ الْمَسَاكِينَ وَيَشْفِي الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيَطْلُقُ الْمَأْسُورِينَ وَالْمُنْسَجِحِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ وَيَدْخُلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ بِرُوحِ اللَّهِ الْقُدْسِ.

الرَّبُّ يَسْمَعُ صَوْتَ بُكَائِنَا وَتَضَرُّعَاتِنَا. يَدْعُونَا إِلَى التَّوْبَةِ. وَالتَّوْبَةُ هِيَ الرَّغْبَةُ الْعَمِيقَةُ فِي تَغْيِيرِ السُّلُوكِ وَالْفِكْرِ وَالْعَمَلِ وَالْكَلَامِ. الْمَرْأَةُ وَضَعَتْ خَطَايَاهَا عِنْدَ قَدَمِي يَسُوعَ وَالرَّبُّ رَفَعَهَا وَهُوَ تَكَلَّمَ نِيَابَةً عَنْهَا جَوَابًا

للديني الذي احتقرها واحتقر حتى الرب ايضا. العمل الذي لا يستطيع الدينون أن يعملوه لان مشغولين أكثر كيف يظهروا للآخرين. جاءت هذه المرأة الخاطئة وأظهرت عمق قلبها وعبرت عن آلامها بما بقي له من شرف: الدموع وشعر رأسها؛ على قدمي يسوع معبرة حبها له ومعترفة أنه هو الطاهر الذي يفهمها ولا يتهمها، يبررها ويرسلها حرة طاهرة. أما الفريسي الرجل الديني، فهو فكر في داخله أن يسوع ليس نبي وإلا لعرف ان هذه المرأة هي فاسدة. حُكْم مسبقا وغباوة وجهل.

مثل الناس اليوم. يقولوا: لو كان يسوع المسيح ابن الله لما تركه الله يصلب. أفكارهم جعلتهم يعتقدون أنهم على حق. والحق بعيد عن المتكبرين. وقريب للمتواضعين ومنكسري القلب والروح. بالنسبة للرجل الديني، سمعان، يسوع ما كان رجل الله وإلا فما كان يسمح لهذه المرأة أن تلمسه. فكّر أن يسوع ما تصرف كما يجب أن يتصرف النبي. لكن يسوع كشف تفكيره علانية. الله وحده يعرف ما في داخل الانسان. فقال له يسوع: سَمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ. فَقَالَ: قُلْ يَا مُعَلِّمُ. فضرب له بمثال مُدَايِنٍ كَانَ لَهُ مَدْيُونَانِ، عَلَى الْوَالِدِ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الْآخَرَ خَمْسُونَ.

وفي ذلك الوقت دينار كان راتب يوم لخدم في الحقل. وخمس مئة دينار ما يقدر يجمعها ولو يخدم كل حياته. من خلال هذا المثال أظهر يسوع لهذا الرجل المتدين ولجميع المتدينين ولكل الناس عدم القدرة على سداد ديونهم لله ولو يغتسلون بالنظرون ويصلون 50 مرة في اليوم ويصوموا حياتهم كلها ويقدموا كل خيراتهم للفقراء، هذا ما يمحي الخطيئة المنقوشة في القلب. الله وحده هو القادر أن يغفر ويحضر ويظهر ويجدد حياتنا وهذا ما جاء يسوع وحققه على الصليب لأجلنا. هو دفع الثمن لجميع ديوننا وأعطانا عدالته. هذا هو الإيمان الحقيقي وظهر في هذه المرأة الفاسدة التي نظرت الى يسوع ولا الى الدين وخدامه.

الدين يتهم ويلعن ويأمر حتى يقتل ما يسموهم مرتدون وكفار. وبهذا يجدفون على الله الذي يدعو الانسان الى التوبة كما هو مكتوب: إن رجع الشرير عن خطايه كلها التي ارتكبها... لا تذكر له جميع آثامه التي ارتكبها إنما يحيا لان الله لا يفرح بموت الشرير؛ بل يفرح برجوعه عن طريقه الآثمة لكي يحيا. الرب يسوع كشف قلب الله المحب لانه قال لسمعان في مثله عن المديونين: وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعاً. ثم سأله أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ فَأَجَابَ سَمْعَانُ: أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالْأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ. وذكر له الرب يسوع ما كان واجد أن يعمل ولم يفعله وأما تلك المرأة الفاسدة فهي عملته بأفضل: النَّعْتِ إِلَيْهَا وَقَالَ لِسَمْعَانَ: أَنْتَظِرْ هَذِهِ الْمَرْأَةَ؟ أَنْتَظِرْ؟ أَنْظِرْ... وقيس ما يفعله الخاطيء التائب بالحق.

وهذه أيضا دعوة إبن الله للذين يعتبرون أنفسهم أفضل من غيرهم ولكنهم بعيدين عما يمجّد الله. الشيء الذي عملته المرأة الفاسدة لم يعمله الديني. كانت العادة أن المضيف يحيي ضيوفه بالماء لأقدامهم ويقبله ويصب زيت معطر على رؤوسه. هو دعا يسوع الى بيته ولم يفعل هذه الأمور التي كانت تقاليدهم. أما بالنسبة لهذه المرأة التي احتقرها في قلبه فهي أعطت درس لتوبة الحقيقية والإيمان الحقيقي لذلك المتدين ولكل الناس مثلها؛ درس التواضع والإيمان. حبت تخرج من حالتها السيئة، جاءت الى يسوع وآمنت أنه هو الوحيد القادر أن يزيل عارها ويطهرها ويجدد حياتها.

وحكم الرب جاء مثل مطر مبرد على أرض قاحلة فقال لها يسوع: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكِ. وهذا التصريح جعل الْمُتَكَبِّرِينَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيضاً؟ ويسوع قَالَ لِلْمَرْأَةِ علانية: إِيْمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ إِذْ هَبِي بِسَلَامٍ. فأسكت الدينيون والمدعون التقوى والطهارة وبرر في الحين تلك المرأة. أعطاه شرفها وحرّيتها وسلامه هو. المجد ليسوع. غفرانه لنا هو غفران الله ومن محبة الله مجانا، لا على أساس الاعمال الدينية ولا المعرفة. خلاص المسيح لنا هو نعمة من الله لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ أَمَامَهُ. ويبشرنا الرسول بولس في رسالته الأولى ونهاية الاصحاح الأول يقول: وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرّاً وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: مَنْ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ.

قالوا في أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيضاً؟ من هذا؟ إنه المسيح إبن الله المحب. فهو ما يرفض أحد يأتي اليه متواضعا. الدين يحكم بالرجم ولا يرحم. أما يسوع المسيح فمن رحمته ونعمته يغفر وجدد الحياة. للمرأة وللرجل دون فرق. ولما الانسان يفهم هذا الحقيقة فهو يهرب من الدين ويكره حياته ويلتجئ الى الله بإبنه يسوع المسيح. أنا عملت هذا من محبة الله ونعمة المسيح. وكل من ذاق جود الله يقول مثل داود: اخْتَرْتُ الْوُقُوفَ عَلَى الْعَتَبَةِ فِي بَيْتِ إِلَهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ الْأَشْرَارِ. ونقول أيضا: إِلَيْكَ يَا رَبُّ أَرْفَعُ نَفْسِي. يَا إِلَهِ عَالَمِي تَوَكَّلْتُ فَلَا تَدْعُنِي أَخْزَى. طُرُقَكَ يَا رَبُّ عَرَفْتَنِي. سُبُّكَ عَلَّمَنِي. دَرَّبَنِي فِي حَقِّكَ وَعَلَّمَنِي. لِأَنَّكَ أَنْتَ إِلَهُ خَلَاصِي. إِيَّاكَ انْتَبَرْتُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. اذْكُرْ مَرَاجِمَكَ يَا رَبُّ وَإِحْسَانَاتِكَ لِأَنَّهَا مُنْذُ الْأَزَلِ هِيَ. لَا تَذْكُرْ خَطَايَا صِبَايَ وَلَا مَعَاصِي. كَرَحْمَتِكَ اذْكُرْنِي أَنْتَ مِنْ أَجْلِ جُودِكَ يَا رَبُّ. آمين. آمين وِنِعْمَةٌ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ مَعَ رُوحِكُمْ. آمين.